دلالات الأمثال العمانية بين الإيجاب والسلب

د. حمود بن عامر بن ناصر الصوافي
أستاذ مساعد في جامعة نزوى- سلطنة عمان

مقدمة:

يعد المثل من المؤثرات الكبرى في تنمية المجتمعات وتطويرها؛ إذ هو عبارة عن تجربة تحققت في المجتمعات الإنسانية قاطبة، وتجربة محلية وجدت في منطقة معينة؛ لذلك إن أردنا أن نستكشف مجتمعا ما، ومدى ثقافته فعلينا أن نتجه نحو المثل فهو يوفر علينا الطريق، ويعلمنا طرائق تفكير تلكم المجتمعات .وقد أدركت ذلك الأمم الغاصبة منذ زمن فقامت بدراسة المجتمعات، والعكوف على أمثالها لمعرفة تفكير أهلها قبل غزوها.ولعل هذه الأمثال العمانية تتقاطع مع الأمثال العربية والعالمية إلا أن طريقة المثل العماني من جهة الصياغة، أو ثقافة المجتمع أخالها تكون مختلفة، وقد تعطي البحث مزيدا من الأهمية والفائدة، كما أن المثل تتعدد القراءات في تأويله، وتختلف شرائح المجتمع في استعماله؛ فقد يكون إيجابيا عند بعضهم، وسلبيا عند الآخرين إلا أن بعض القرائن قد ترجح هذا الرأي على ذلك؛ لذا حاولت من خلال هذه الورقة الموسومة: بـ"دلالات الأمثال بين الإيجاب والسلب" أن أنتقي أمثالا عمانية دفعت المجتمع إلى تبنيها والتمسك بها، وأخرى وجدت مناقضة للأولى كتناقض الإنسان في حياته؛ فقد ينشد الموضوعية فلا تجده إلا ذاتيا، وقد يدّعي البعد عن العاطفة وتتفاجأ أنه ينطلق من مشاعره وأحاسيسه ليس لأنه يتعمد ذلك قطعا، ولكن لأنه إنسان لا يستطيع أن يضبط بوصلته، ولا يقدر أن يضع قاعدة مطردة لتعامله ونظرته للآخرين، وإن ظن أنه يمسك بلجام تسرّعه إلا أن الواقع ودلائل هذه الأمثال تؤكدان وقوعه في التناقض والازدواجية في أحايين متباينة.

أهمية الدراسة:

-التعرف على الأمثال الإيجابية والسلبية، وتعدد الأفهام في تأويل بعضها.

-معرفة تأثير هذه الأمثال على الفرد والجماعة.

-الاستفادة من الأمثال الشعبية في ترسيخ المثل العليا في المجتمع.

المنهج المتبع في الدراسة: اتبعت المنهج الوصفي التحليلي في بناء هذه الورقة؛ ليسهم في وصف حالات المثل المتعددة، ومعرفة التأويلات المحتملة لبعض الأمثال، ووضع مقارنة بين الأمثال الإيجابية والسلبية ومدى شيوع هذه على تلك.

مشكلة الدراسة: ما مدى تأثير الأمثال بشقيها الإيجابي والسلبي على المجتمع؟ وما التوجيه لهذه الأمثال؟ وهل يمكن أن يكون التوجيه مزدوجا يتراوح بين الإيجابي والسلبي على حسب اختلاف الأفهام والتأويلات والبيئة؟

تعريف المثل لغة واصطلاحا:

المثل لغة: جاء في الصحاح:" مِثْل: كلمة تسوية. يقال: هذا مِثْلُهُ ومَثَلُهُ كما يقال شِبْهُهُ وشَبَهُهُ بمعنًى. والعرب تقول: هو مُثَيْلُ هذا، وهم أُمَيْثالُهُمْ: يريدون أنَّ الْمُشَبَّه به حقيرٌ كما أنَّ هذا حَقيرٌ"(١). والمثَلُ: ما يُضرب به من الأمثال"، وفي لسان العرب:" إنما الْمَثَل مأْخوذ مِنَ الْمِثال والحَذْوِ، والصفةُ تَحْلِية ونعتٌ. وَيُقَالُ: تَمَثَّلَ فلانٌ ضَرَبَ مَثَلًا، وتَمَثَّلَ بِالشَّيْءِ ضَرَبَهُ مَثَلًا"(٢)".

اصطلاحا: عرفه ثعلب:" المثلُ جملة من القول مقتضَبةٌ من أصلها أو مرسلةٌ بذاتها، فتتسم بالقبول، أو تشتهر بالتداول، فتنقل عما وردت فيه إلى كلِّ ما يصح قَصْدُه بها من غير تغيير يلحقها في لفظها وعما يُوجِبه الظاهر إلى أشباهه من المعاني فلذلك تُضْرب وإن جُهِلت أسبابُها التي خرجت عليها واستجيز من الحذف ومُضَارع(٣) ضرورات الشعر فيها ما لا يُسْتَجازُ في سائر الكلام"(٤)و"المثَلُ مأخوذ من المِثال، وهو: قولٌ سائرٌ يُشَبَّه به حالُ الثاني بالأول، والأصل فيه التَّشْبِيه، فقولُهم "مَثَلَ بَيْنَ يَدَيه" إذا انتصب معناه أَشْبَهَ الصورةَ المنتصِبة، و"فلان أَمْثَلُ من فلان" أي أَشْبَهُ بما لَه (من) الفضل. والمِثالُ القِصاصُ لتشبيه حالِ الْمقتَصّ منه بحال الأول، فحقيقة الْمَثَلِ ما جُعل كالعلم للتشبيه بحال الأوَّل، كقول كعب ابن زهير: كَانَتْ مَوَاعِيدُ عُرْقُوبٍ لَهَا مَثَلاً ... وَمَا مَوَاعِيدُهَا إِلاَّ الأَبَاطِيلُ، فمواعيد عرقوب عَلَم لكل ما لا يصح من المواعيد".قال ابن السِّكِّيتِ: الْمَثَلُ: لَفْظٌ يخالفُ لفظَ المضروب له، ويوافق معناه معنى ذلك اللفظ، شَبَّهُوه بالمثال الذي يُعْمَلُ عليه غيره(٥)، ويرى بعضهم أنه أوسع دلالة فيطلق على" الحكمة السائرة، والحكاية ذات معنى..."(٦).

تعريف المثل الشعبي:

موروث اجتماعي ثقافي يتداول بين أفراد المجتمع لتشبيه شيء بشيء مثله، كما أنه يوحي في أغلب الأحيان بعمل، أو يصدر على وضع من الأوضاع والتنظيم والجاذبية في الأسلوب والدقة في صور البلاغة"(٧)، وقد بدا من خلال التعريفات السابقة أن المثل الشعبي والمثل عموما مأخوذ من المعنى اللغوي المتعلق بتشبيه حالة بحالة، ولا شك أن المثل بعمومه سواء كان عربيا خالصا أو شعبيا مختصًّا هو عبارة عن تشبيه حالة بحالة أخرى حصلت عن طريق تجارب وتلاحم وتجانس بين أفراد المجتمع. **خصائص المثل وميزاته:** اختص المثل بخصائص ميزته

عن سواه كوضوح المعنى، وجمال الأداء، وعموم الدلالة[٨]، جاء في العقد الفريد:" التي هي وشي الكلام وجوهر اللفظ، وحلى المعاني، والتي تخيّرتها العرب، وقدّمتها العجم، ونطق بها كلّ زمان وعلى كل لسان. فهي أبقى من الشّعر، وأشرف من الخطابة، لم يسر شيء مسيرها، ولا عمّ عمومها، حتى قيل: أسير من مثل"[٩]. ومن خصائصه أيضا: التعبير عن الواقع بطريقة غير مباشرة، ووجود البلاغة، وإيجاز اللفظ، وتركيز المعنى، والإيقاع، والموسيقى في بنيته اللفظية[١٠].**أهمية المثل الشعبي** للمثل أهمية بالغة في حياة الفرد والمجتمع؛ إذ يمثل عراقة الشعوب وأصولها وإرثها الحضاري، ويعبر عن مختلف الطبقات، ويعين الفرد والمجتمع على فهم المقصود بجلاء[١١]، كما أنه وسيلة ثقافية وتربوية لغرس القيم والمبادئ في الناشئة وعموم أفراد المجتمع، ويمثل أيضا الحكمة البالغة، والتجربة الرائعة التي تنفع جميع فئام المجتمع[١٢].

دلالات الأمثال بين الإيجاب والسلب:

التحدي والرضوخ للحاجة: ظلت الأمثال في ذاكرة الإنسان العماني الجمعي يأخذها الخلف من السلف، والصغير من الكبير، محاولا الاسترشاد بها، وتطبيقها في شؤون حياته؛ لأنها صارت جزءا من كيانه لا ينفصل، وثقافة في وجدانه لا تنفصم فحرص عليها كل الحرص، فأسهمت في تطوير المجتمع وتحسينه والذود عنه، وقد بان من خلال تتبع الأمثال في كتاب **(العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية) أن** الأمثال المتعلقة بالتحدي والطموح قد أخذت نصيبا من الأمثال العمانية؛ بسبب جغرافية البلد، وشدة الحرارة، وكثرة الجفاف، وإحاطة البحر بالبلد من أغلب الجهات، فكل هذا دعّم وجود أمثال تواجه هذه القساوة وتطوّع الطبيعة لصالحها من شق الآبار، وبناء السدود، ومقاومة الجفاف، ورد المعتدين.وقد جاء في بحث الشخصية العمانية ودورها في التواصل الحضاري عبر العصور ما يؤكد ذلك، ويبرهن أن الشخصية العمانية اتسمت بالطموح وروح المغامرة وحب الاستكشاف من خلال التاريخ، وتعاملها مع تقلباته[١٣]. وما كتبه الكتاب عن هذه الشخصية أيضا يصبُّ في هذا الجانب؛ فيقول رأفت الشيخ في كتاب تاريخ العرب:" إن الإنسان العماني لم يكن أبدا بالخامل أو المستسلم؛ وإنما كان يسعى دائما في طموح كبير في التغيير لما هو أفضل وأحسن"[١٤] لذلك لا عجب أن كانت الأمثال مادة خصبة منشطة لهذا الطموح، ومقوية لهذه الهمم، جاء في أمثال العمانيين: "**حبل الدوم يقص الحجر**" أي: استمرار حك الحبل في الحجر الصلد يؤدي إلى قطعه[١٥]، ولو اجتهد الإنسان في عمله، وطوّع أرضه لحصل على مبتغاه، وفعل ما طمح إليه وأراده، والإنسان المحتاج الذي يجد صعوبة في الحياة ليس معه أمل إلا تكسير العراقيب، ودفع تلك الصعوبات إلى الخلف للتقدم سريعا، وهذا يذكرنا بالمثل العربي:" **الحديد بالحديد يفل**"[١٦] ومن ذلك قول العمانيين: "**إن جار عليك الزمان جُور على الأرض**"أي: إن اشتد عليك الكرب، وأظلمت الدنيا بكلاليبها فينبغي أن تبحث في باطن الأرض عن رزق الله[١٧] يمتثل قول الله تعالى:" هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)[الملك/١٥]، وقد يلمح من كلمة (جور) بذل أقصى غايات الاستطاعة لتوفير لقمة العيش، وكف النفس عن التذلل للناس.وقد حثّت الأمثال على العمل والجهد في أصعب الظروف وأقساها؛ من أجل الوصول إلى النجاح، كقولهم:" **خدم في الشمس وكل في الظلة" أي:** تحمّل الشقاء والتعب في عملك؛ لأن النتيجة هي الراحة والاطمئنان في المستقبل[١٨]، يقول الله تعالى في المجتهدين:" وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى"[النجم/٣٩]، وقوله أيضا:" وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ"[العنكبوت/٦٩]. ومن أمثال العمانيين قولهم: "**العطشانة تكسر الحوض**" أي الناقة العطشانة لا يمكن أن تصبر على العطش[١٩]، ومثله في رواية أخرى: "**العطشانة ما يشاشالها**"، وشبيهه: "**المحتاج عاني**"[٢٠]، وأيضا: "**الحاجة سويدة وجه**" ومثله: "**الحاجة تدلك على مُرّ الشجر**"[٢١]. وفي المغرب يقولون: "**العطشان لا تصفرلو**"[٢٢].وقد تستعمل بعض هذه الأمثال المحفزة سلبا ولا سيما المثل: "**الحاجة سويدة وجه**" إذ تضطر المرء أن يلجأ إلى التملق أو العمل في أوضاع لا يرتضيها، أو يشتغل في أمر لا يقتنع به، ولا يدفعه إلى ذلك رغبة أو رضى؛ وإنما إرضاء لأسياده، أو حاجته الضرورية إلى المال الذي يجنيه من طاعته لمسؤوله إلا أن الأمثال الإيجابية والسلبية قد تعمل على التوزان في المجتمعات؛ لأن الحياة متباينة فيوم لك ويوم عليك، ويوم سعد ويوم فرح، كما أننا في حالات كثيرة نحتاج أن نتريث قبل أن نصادم ما لا يروق لنا إلا إن تعلق الأمر بديننا وقيمنا الثابتة فلا مساس فيها، قال تعالى: "وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا"[العنكبوت/٨].ومن الرضوخ أيضا قولهم: "**إذا ما طاعك الدهر طيعه حتى تكون ربيعه**" أي: تكيّف مع تغييرات المجتمع ولو كانت لغير صالحك [٢٣]، وفي رواية:" **إذا ما طاعك الزمان طيعه**"[٢٤] ولكن قد يستعمل هذا المثل سياق إيجابي إن عددنا طاعة الدهر هو محاولة التأقلم مع أحواله في الفقر والغنى، والحر والقر، والأفراح والمصائب وليس خنوعا واستكانة وذلا، وإنما رضى وقناعة؛ لأن الفقر ليس نهاية الحياة؛ بل هو دافع للعمل، والصبر على البلوى بالجهد.ومثل ذلك الخنوع للوضع القائم، وعدم المخاطرة في تناول الأمور في قولهم: "**اصبر على مجنونك حتى لا يجيك أجن منه**"[٢٥]، بيد أن هذا المثل قد يكون إيجابيا من جهة أخرى ابق مع صديقك ولا تغيره فقد يأتي من هو أشر منه وأكثر ألما[٢٦]، أو أن سياق المثل يستعمل حين لا يسمح الوضعُ بالخروج الآمن؛ إذ إن تجنب الصبر يؤدي إلى مشاكل ومصائب

لا تحمد عقباها؛ فيكون وضع المثل في محله.ومثله في الرضوخ قولهم: "**الغلب طوع**"[٢٧] إذ يجعل الحجة والطاعة المطلقة للغالب، ولو كان لا يستحقها أو ليس مؤهلا لها، ومثله قولهم:"**لبيّك يا نافع ولو ساحر**"[٢٨] فهو تكريس ميكافلي نفعي لشخص لا يستحق أن يستجاب له؛ لأنه يتبع طرائق إبليس، وشياطين الجن والإنس فيقال في حقهم: لا لبيك ولا سعديك".ومثله في الرضوخ والاستكانة للأقوى قولهم: "**مو علمك بالقسمة؟ قال: بما في وجه الذيب**" فقد كَلَّفَ أسد ذئبا أن يقوم بتوزيع اللحم، لكن الذئب اختار أجود قطع اللحم فأكلها، فلما علم به الأسد صفعه، وأوكل المهمة بعد ذلك إلى الثعلب، فلما شعر الثعلب بالجوع، وقسم القسمة، اختار أسوأ القطع؛ خوفا من الصفعة البارزة على وجه الذئب[٢٩]، بيد أن هذه الأمثال الأخيرة يمكن أن تؤول تأويلا إيجابيا إن أخذنا بمبدأ الظروف التي لا تحيد عن القيم، وتراعي مقامات الناس ومنازلهم في المجتمع من غير ضرار ولا ضرر. **الطيبة وضعف الشخصية:**ورورود المثل لا يدل دلالة قطعية على وجود ذلك في المجتمع، بل قد يدل على عكسه فلو كثر الكرم مثلا فلا داعي للحث عليه، والإكثار منه، وربما هذا يقع كذلك على الطيبة والتسامح؛ فلأنهما اتصف بهما العماني فلا نجد لها ظاهرة في الأمثال؛ لأنها متمثلة في قناعات الناس وتحركاتهم، لكن قد نتلمس تأثير ذلك من بعض الأمثلة كقولهم: " **سير بعيد وتعال سالم**"[٣٠] فما زال هذا المثل يرسّم علاقة العماني بغيره من الدول تحت شعار:" لا نتدخل في شؤون الآخرين، ولا يحق للآخرين أن يتدخلوا في شؤوننا أيضا" وقد يفهم أنه دعوة إلى الخنوع، وعدم المغامرة، وذاك يعد شئيا مرذولا [٣١] إلا أن المثل حمّال أوجه فلا يمكن إسقاطه على شيء إلا مع تضافر الأدلة لذلك الشيء.ومما قد يدخل في هذا الباب التفكير في العواقب وهي حكمة عربية أيضا ذكرت في أمثال العرب كقولهم: "**الحذر أشد من الوقيعة**"[٣٢] وفي المثل العماني: "**من لم يفكر في العواقب ما له في الدهر صاحب**"[٣٣]، والحكمة والتأني أيضا قبل الإقدام على أمر ما، ومحاولة الولوج إليه من بابه كقولهم: "**البيت يدخل من بابه**"[٣٤]، وفي رواية: "**كل بيت يدخل من بابه**"[٣٥] ومحاولة شغل النفس بما ينفعها بدلا من زجها في أتون خلافات لا طائل من ورائها وسواء كان هذا الخلاف في البيت الواحد، أو بين الزوج وزوجه، أو بين الأسر المختلفة، كقولهم:" "**تبغى تزعل ما متفيقة من شغلان بيتها**"[٣٦]. وقد قالوا عن المتعنت الذي يحاول أن ينتعتر، ويدعي الغلبة في كل شيء: "**العود اللي ما يلين ينكسر**"[٣٧] فدع عنك اللوم، واعلم أن اللين والرفق لا يكون في شيء إلا زانه.**التعاون، وتجنب الشراكة** حث ديننا الحنيف على التعاون والاتفاق وضرورة ترك الضغائن والأحقاء، فما يجمع المسلمين أكثر مما يفرقهم، ولو اختلفوا في أمور، وتنازعوا في أشياء إلا أن سمة التجانس يجب أن تكون محفورة في نفوسهم، وليس بدعا عنهم أهل عمان؛ فقد حرصوا على التشارك ورغبوا فيه، فمن ذلك قولهم: **كف واحدة لا تصفق**"[٣٨]، لأن التعاون سر من أسرار تحسن العلاقة بين الأفراد، ودوام المحبة في النفوس، وقد وصف النبي– صلى الله عليه وسلم– المسلمين بهذه الخصلة قائلا: "مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى"[٣٩]، لذلك دفعت هذه الأمثال إلى دوام هذه المحبة واستمرارها، وحكت أمثالهم أيضا أن المحاسبة تديم هذه الزلفى والقربى، وتبعد أي منغص أو شائبة تضيع العلاقة أو تثلمها، فمن ذلك قولهم: "**تحاسبوا كل يوم تكونوا خوادم**"[٤٠] أي صارحوا بعضكم بعضا، واعترفوا بأخطائكم تدم محبتكم، ويصبح كل امرئ منكم خادما لأخيه، وهذه أكبر ميزة وأحسن علاقة أن يصير الأخ خادما لأخيه، حريصا على مساعدته، وبذل الجهد في سبيله، ومثل ذلك قولهم: "**خادم القوم سيدهم**"[٤١] وفي رواية "**رئيس القوم خادمهم**"[٤٢]، وقد ورد مثل شبيه بهذا عن العرب فقد قالوا: "**أَصْغَرُ القَوْمِ شَفْرَتُهُمْ**"، أي: خادِمُهم الذي يكفي مِهْنَهم، شُبِّه بالشفرة تُمْتَهَنُ في قَطْع اللحم وغيره[٤٣]. فالسيادة ليس بإلقاء الأوامر والترفع عن الناس؛ وإنما بخدمتهم ومساعدتهم وتقديم العون لهم، والعماني ينطلق من منهج الإسلام وتعاليمه، ويحرص على بقاء الألفة والإخوة وإن حاول بعضهم التنكر والتنصل لها إلا أن جذوة هذه الثقافة عالية، فمن ذلك قولهم: "**هين بغلة ضاقت بدقلها**"[٤٤]. وهذه الأخوة تقتضي أحيانا رفع الكلفة بين الأحباب فمن ذلك قولهم: "**بين الأحباب تسقط الآداب**"[٤٥]، وقد سار العمانيون على هذا المنهج في التعامل وطعموه باللين والرفق؛ لأنه لا يزيد النفوس إلا حسنا وزينة كما جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم "" عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، فَإِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ"[٤٦]، والمثل العماني يحكي مثل هذا الأمر في قوله: "**بو تخيس نعفته ما يقصها**"[٤٧] يعني يعالجها ويصلح من شأنها بأناة بدلا من فقدانها، ومثل ذلك يكون تعامله مع أصدقائه وخلانه. وإذا لم يستطع المرء أن يحسن علاقته مع الآخرين فعليه أن يعتزلهم؛ فلا يضيع عليهم صفو حياتهم، أو يعكر مزاجهم بسوء فعاله وحمقه، فقد جاء في المثل العماني: "**إما افتح بابك وتجمل ولّا شده وتخمل" أي افتح صدرك لهم وتحمل ما يصيبك منهم وإلا أغلق عليك دارك وانكفئ مع نفسك**"[٤٨]، أي: إما أن تفتح صدرك للناس، وتكون محمودا بينهم، أو أن تنكفئ على نفسك وتصير خاملا بين الناس[٤٩].كما يجدر بكل امرئ أن يختار صديقا صالحا فاضلا يعينه على معرفة مشارب الحياة، والتمييز بين حسنها وضارها، ويستفيد ممن هو أكثر ذكاء وخبرة منه، فمن ذلك قولهم:"**في الطريق رابع أذرب عنك**" رابع: بمعنى رافق، وأذرب: أي أقوى[٥٠].وبناء المجتمعات–واقعيا، وكما حثّت عليه الأمثال السابقة–

ينبغي أن يكون فيه تعاون واتفاق وإلا لم يصب الإنسان إلا القليل من التقدم؛ فلا بناء ولا تقدم دون تعاون وتشارك، وذم الشراكة في الأعمال قد يؤثر سلبا في سير الأعمال فقد جاء في المثل العماني: "**برمة الشرك لا تثور**"(٥١)، لأن التجربة أثبتت فشل الشراكة، وهذا الفشل ليس راجعا إلى كون الشراكة مضرة، ولكن التعامل مع هذه الشراكة كان ضارا –فيما يبدو– لأن التعاون العفوي دون كتابة، واتفاق في الشراكة دون خطة محكمة يؤدي إلى أفولها وضياعها؛ لذلك– فيما يبدو– أطلق المثل على وضع فردي، أو أوضاع مشابهة للوضع الأولي الفردي، وإلا فإن الشراكة من أكبر المسببات للتقدم وتطوير المؤسسات، وما زالت الشعوب والحكومات في كل البلدان تنشد هذه الشراكة وتدعو إليها.

الطموح وحب الظهور والشهرة

حذّرت الأمثال العمانية من الضعفاء أو المثبطين الذين لا يعرفون للطموح سبيلا، ولا للغايات النبيلة طريقا فورد في المثل: "**إذا برلك القمر فلا تبال بالنجوم**"(٥٢) أي: إذا ناصرك القوي فلا تلتفت إلى الضعيف؛ لأن الذي ينظر إلى الأعلى سيسهم ذلك في إيقاظ نفسه من غفلته، واعتلائه سلم المجد، ومثله المثل العماني: "**برق قفاك لا تستخيّله وإن استخلته لا تنجع عليه**" أي: لا تلتفت إلى الكسالى والمثبطين في إنشادك للطموح ومعالي الأمور(٥٣).وقد يعاني بعض أفراد المجتمع من نقص أو عيب، أو يريدون أن يصعدوا على أكتاف الآخرين؛ فلا يرون طريقة لرفع شأنهم إلا بعمل حسن أو سيئ، فقد جاء في المثل العماني: "**من بغيت تذكر فعل زين أو شين**"(٥٤)، وفي رواية:" **إن بغيت تذكر افعل زين أو منكر**"(٥٥). وهذا المثل يرسخ مبدأ النفعية الميكافلية في تناول مواضيع الخير فلا أعمل إلا لذكر أستفيد منه، ولا أقدم على شيء إلا إن بدا أني سأُذكر أمام ملأ الناس، وهو يخالف قاعدة الإسلام في عمل الخير، قال تعالى:" فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧)"[الماعون/٤–٧].

الصبر وضعف الشخصية

الصبر صنو المرء الطامح والفتى الناظر لمعالي الأمور فلا تجد أمة من الأمم نالت شرفَ الرفعة، أو تغلبت على الأعداء دون أن تتحلى بالصبر والجلد، وقد عرف عن العمانيين صبرهم ووحدتهم؛ فكان تاريخهم حافلا بالبطولات، ولا ريب أن الأمثال الشعبية أعانتهم على هذا الجلد فمن ذلك قولهم: "**بو يصبر ويتأنى يلقى ما يتمنى**"(٥٦) أي مفتاح كل أمنية هو الصبر والتأني في اتخاذ القرارات، فمن غيرهما لا يمكن الوصول إلى شيء، أو المقدرة على فعل أمر ما، ويقتضي هذا الصبر حسن التصرف والنظر في مآلات الأمور فقد ترضى بشيء أهم من شيء؛ لحكمة تراها، ونظرة قد تتكشف لك مستقبلا، ولا تتأتى هذه النظرة والدقة في اتخاذ القرارات إلا بالتأمل، ومحاولة إجالة الفكر والنظر المستمرين، فقد جاء عن العمانيين: "**البجمة أروح من الغلفة**"، معناه: شيء أهون من شيء ، ومثله: "**نصف البلاء ولا البلاء كله**(٥٧)، وقولهم: "**لقمة ولا برمة**"(٥٨). وقد يفهم من الصبر أنه ضعف في الشخصية، وفقدان للحيلة في مواجهة المصائب إلا أن ذلك لا يحكم عليه إلا بالقرائن؛ لأن هناك أمثالا مختلفة تدعو إلى التحدي، ومواجهة الصعاب(٥٩).

الكرم والأنانية:

الكرم عادة يتطبع به العربي، وقد تنشأ وتتكون في بيئته الأولى، ويستمر كريما إلى أن يلقى الله تعالى، وقد جاءت الأمثال تعلي من شأن الكرماء فمن ذلك: "**دافع النقم باللقم**" أي: إن أنفق صاحب الماء ماله وبذله كان وقاية له من النقم(٦٠)، وقد يفهم من هذا المثل أنه كرم بمقابل وهذا الكرم بمقابل لا يخلو منه إنسان مهما خلصت نيته، وحسن كرمه إلا أنه يرجو أن يكون الناس مثله تنتشر فيهم صفة الكرماء، وتعم في الأوساط. وحذّرت الأمثال من الإسراف في الكرم؛ لأن مآل ذلك عدم الانتفاع بما عند المرء من خيرات، فمن ذلك قولهم: "**تبغى من تينها وأعنابها، وحاتم على بابها**" (٦١)أي تريد أن تأكل من بستانها، وقد تركت حارسا كريما يعطي الداخل والخارج فلا يمكن أن يبقي لها شيئا، وكأنها تود أن يتوسط الإنسان في تقتيره وإعطائه امتثالا لقوله تعالى:" وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا"[الإسراء/٢٩]، لذا عد بعضهم الكرم بالموجود حتى لا يدخله المباهاة والسرف؛ فقد جاء في المثل العماني: "**الجود على قدر ذات اليد، والجود بالموجود وكف الخالي ما يجود**"(٦٢)، ويصب في هذا المثل قول العمانيين: "**بيت طين ما يعدم من الطحين**" أي الرجل الذي له بيت، ولو من طين لا بد أن يكون عنده طحين وخبز يطعمه القاصدين إليه(٦٣)، وقد يكرم المرء ما يستطيع به، ويقدر عليه فلا يلام في كرمه بل يشكر في فعاله وحسن خلاله، فمن ذلك قولهم: "**ما على الكريم شرط**"(٦٤)، وكأن المثل أخذ من قوله تعالى:" مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ"[التوبة/٩١]. وقد يكرم المرء غيره دون مقابل، ويعطي دون أن ينتظر، وقد تجد آخر أنانيا لا يكتفي بذاتيته المريضة؛ وإنما يكرس الأنانية والنفعية بحسده للآخرين، وعدم رغبته في وصول الخير إليهم، فمن ذلك:"**غضة في إيدك ولا نضجة في يد غيرك**" أي: الثمرة الغضة في يدك أفضل لك من الثمرة الناضجة في يد غيرك(٦٥)، مثله المثل الذي لا يكترث بما يحصل للآخرين إن سلمه الله من مصيبة أو آثام

كقولهم: "**كل بو يدور جمل خالته من لقيه ركب وغنى، ومن ما لقيه مشى وغنى**"[٦٦]، وقولهم: "**بو ما يدي من قفعته ما تهمني صفعته**" **يدي بمعنى يعطي**، أي الذي لا تأتيني منفعة منه لا أهتم به[٦٧]، ومثله مثل يتداول عندنا:" **إن سلمت ناقتي ما علي من رفاقتي**".

التوكل على الله، والتواكل:

ا يخلو مجتمع من طموحين متحدين متوكّلين على الله حق توكله كقول العمانيين: "من آدم الحركة، ومن الله البركة"[٦٨]، وجاء مثل ذلك في المثل العربي:" اطلب تظفر"[٦٩] وقولهم: "عز الرجل استغناؤه عن الناس"[٧٠].وهناك كسالى أيضا لا يعرفون من الحياة إلا اللهو واللعب، ناموا عن أعمالهم، وفشلوا في إدارة أوقاتهم، وتركوا كل شأن من شؤونهم للقدر، كقولهم: "لو تركض ركض الوحوش غير رزقك ما تحوش"[٧١] فلم يحاولوا أن يجتهدوا ليغيروا واقعهم، أو يبحثوا عن مكامن الرزق إلا أن هذا المثل قد يكون إيجابيا –إن أطلق على بعض فئام المجتمع الذين أرادوا إيجاد طريق بين السائرين والرائحين إلا أن الطرق كانت أمامهم مؤصدة، فكان المثل عزاءهم وواقعهم الذي خبروه، ومثله في التواكل قولهم: "قب وخراق والرب رزاق" أي: معه قب: عصا غليظة، وخراق أي: حزام، وينام عن العمل، ويقول الرزق بيد الله[٧٢].**الاكتفاء بالحاضر والتنبؤ بالمستقبل:** الحياة سائرة نحو المجهول فلا يعرف المرء ما يعترضه، ولا يقطع ما ينتظره إلا أنه يحاول أن يتكهن للمستقبل، ويتنبأ بما يمكن أن تكون عليه المعطيات، ليس رجما بالغيب، أو دعاء دون مستند؛ وإنما أسباب ومسببات واجتهادات قد ندرك بها بعض المآلات، ونأخذ منها بعض التنبؤات كقولهم:" **عق حصاة إلى طياحها فلَكَ؛ يمكن أن ترمي حجرا وإلى أن يسقط يكون الدنيا قد تغيرت**"[٧٣]، ومثله: "**قط الخيط وعلى الله الصيد**"[٧٤]. بيد أن هناك أمثالا أخرى لا تعرف التخطيط، ولا تفكر بالمستقبل البتة؛ وإنما تكتفي بقوت يومها، وتعيش ساعتها فقط، فمن ذلك قولهم: "**بيضة اليوم ولا فرخ باكر**"، ويقابله المثل العربي: "**عصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة**"[٧٥] وقد تعد هذه الأمثال إيجابية؛ لكون المجهول قد لا يتحصّل عليه بخلاف الموجود في اليد.

الخاتمة والنتائج:

–عبرت الأمثال عن واقع المجتمعات وتفكيرهم الجمعي، أخذها الخلف من السلف.

–تقاطع المثل العماني مع قرينه من الأمثال العربية والعالمية إلا أن البيئة والصياغة والتفكير جعلت للمثل العماني فرادته وحضوره المميز.

–كانت الأمثال العمانية المتعلقة بالتحدي والطموح أكثر بروزا من غيرها؛ لكون الظروف القاسية، وجغرافية البلد، وإحاطة البحر من أغلب الجوانب جعلت العماني يبذل قصارى جهده؛ لتطويع بيئته القاسية، والمحافظة على كيانه المستقل.

–تباينت الأمثال العمانية إيجابا وسلبا على حسب التي مر بها المجتمع العماني، والبيئات التي عاشها، والزمن الذي صُنع فيه المثل .

–اختلفت التأويلات في بعض الأمثال؛ فقد يفهم منها الإيجاب والتشجيع والطموح، وقد يقصد بها الجبن وقلة المبالاة والإهمال.

– تعد القرائن والسياقات وسائل ناجحة ومميزة بين الامثال المزدوجة في التأويل.

المصادر والمراجع:

–أثر الأمثال الشعبية على السلوك الاجتماعي للريفيين بمحافظة الشرقية: هدى مصطفى، عبد العال محمد، سحر محمد شلبي نويصر، مجلة الزقازيق للبحوث الزراعية، مصر، مجلد (٤٥)، (٥)، ٢٠١٨م.

–أقوال عمان لكل الأزمان، الحميدي، خليفة بن عبد الله بن سالم، الناشر: المؤلف، روي، ط١، ١٩٨٧م

–الأمثال الشعبية في سلطنة عمان: مدرسة السلطان، السيب، ١٩٨٥م.

–**الأمثال**: ابن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م.

–الدلالات الاجتماعية في الأمثال الشعبية: عابي، غنية، رسالة ماجستير في الجزائر، ٢٠١٥م.

–الشخصية العمانية ودورها في التواصل الحضاري عبر العصور، بشير فايز، (د.ت، ط).

–**الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: الجواهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م.

-**العقد الفريد:** ابن عبد ربه، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ.

-العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية: لفتنانت كولونيل، ترجمة: محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط٢، ١٩٨٠.

-القيم التربية في الأمثال العربية دراسة موضوعية أسلوبية: بن شيحان، ناصر بن راشد، مجلة كلية الدراسات الإسلامية،

-**تأريخ العرب الحديث:** رأفت، الشيخ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٤م.

-**شرح الفصيح لثعلب:** المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسين المرزوقي، تحقيق: سليمان العايد.

-**صحيح مسلم:** مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث

-**فجر الإسلام:** أمين، أحمد، هنداوي، مصر، ٢٠١٢م.

-**لسان العرب:** ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، مادة، مثل، ط٣، ١٤١٤ هـ.

-**مجمع الأمثال:** أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد،

-**مسند الإمام أحمد بن حنبل:** أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.

-**موسوعة الأمثال العمانية:** عبد الفتاح، محمود، مركز الراية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.

هوامش البحث

(١) **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية:** الجواهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط٤، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م، مادة مثل، ج٥، ص١٨١٦.

(٢) **لسان العرب:** ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، **مادة، مثل**، ط٣، ١٤١٤ هـ، ج١١، ص٢١٢.

(٣) هكذا وردت في الكتاب، يقصد بها-فيما يبدو-المعنى اللغوي وهو المشابهة.

(٤) **شرح الفصيح لثعلب**، المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسين المرزوقي، تحقيق: سليمان العايد، ص٢٩٧.

(٥)**مجمع الأمثال:** أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، المحقق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة – بيروت، لبنان، ج١، ص١.

(٦)**فجر الإسلام:** أمين، أحمد، هنداوي، مصر، ٢٠١٢ن، ص٦٨.

(٧)**أثر الأمثال الشعبية على السلوك الاجتماعي للريفيين بمحافظة الشرقية:** هدى مصطفى، عبد العال محمد، سحر محمد شلبي نويصر، مجلة الزقازيق للبحوث الزراعية، مصر، مجلد (٤٥)، (٥)، ٢٠١٨م، ص١٨١٢.

(٨) **الدلالات الاجتماعية في الأمثال الشعبية:** عابي، غنية، رسالة ماجستير في الجزائر، ٢٠١٥، ٢٠١ن، ص٢٠

(٩) **العقد الفريد:** ابن عبد ربه، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٠٤ هـ، ج٣، ص٣.

(١٠)أثر الأمثال الشعبية على السلوك الاجتماعي للريفيين بمحافظة الشرقية: ص١٨١٢.

(١١) الدلالات الاجتماعية في الأمثال الشعبية: ص٢٦.

(١٢)أثر الأمثال الشعبية على السلوك الاجتماعي للريفيين بمحافظة الشرقية: ص١٨١٣.

(١٣)الشخصية العمانية ودورها في التواصل الحضاري عبر العصور، بشير فايز، ص٦.

(١٤)تأريخ العرب الحديث: رأفت، الشيخ، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ١٩٩٤م، ص١٦٨.

(١٥)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية: لفتنانت كولونيل، ترجمة: محمد أمين عبد الله، سلطنة عمان، ط٢، ١٩٨٠م، ص٣٩.

(١٦) **الأمثال:** ابن سلام، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط١، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م، ج١، ص٩٧.

(١٧)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية، ص٩.

(١٨)المصدر نفسه، ص٣٥.

(١٩)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية: ص٥٧.

(٢٠)أقوال عمان لكل الأزمان، الحميدي، خليفة بن عبد الله بن سالم، الناشر: المؤلف، روي، ط١، ١٩٨٧م، ج٢، ص١٦٥.

(٢١)ينظر: أقوال عمان لكل الأزمان، ج١، ص٢٤٧.

(٢٢)المصدر نفسه، ج٢، ص١٦٥.

(٢٣)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية: ص١٠.

(٢٤)موسوعة الأمثال العمانية: عبد الفتاح، محمود، مركز الراية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م، ص١٩.

(٢٥)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية: ص٥٢.

(٢٦)الأمثال الشعبية في سلطنة عمان: مدرسة السلطان، السيب، ١٩٨٥م، ص٣٨.

(٢٧)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية: ص٦٣.

(٢٨)المصدر نفسه، ص٧.

(٢٩)المصدر نفسه، ص١٠١.

(٣٠)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية: ص٤٧.

(٣١)ينظر: أقوال عمان لكل الأزمان، ج٢، ص٤٤.

(٣٢)مجمع الأمثال، ج١، ص٢١١، القيم التربية في الأمثال العربية دراسة موضوعية أسلوبية: بن شيحان، ناصر بن راشد، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد الرابع والثلاثون، ص٤٤٤٨.

(٣٣)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية، ص٩٩.

(٣٤)المصدر نفسه، ص٢٨.

(٣٥)أقوال عمان لكل الأزمان، ج٢، ص٢٧٧.

(٣٦)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية: ص١٩.

(٣٧)أقوال عمان لكل الأزمان، ج٢، ص١٨٥.

(٣٨)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية: ص٧٠.

(٣٩)صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٧-باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم الحديث: (٢٥٨٦)، ج٤، ص١٩٩٩.

(٤٠)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية: ص٣٢.

(٤١)الأمثال الشعبية في سلطنة عمان: ص٥٧.

(٤٢)المصدر نفسه، ص٦١.

(٤٣)مجمع الأمثال، ج١، ص٤٠٣.

(٤٤)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية: ص١٠٦.

(٤٥)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية: ص٢٩.

(٤٦)مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد،إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م، ج٤١، ص٤١٥.

(٤٧)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية: ص٢٣.

(٤٨)المصدر نفسه، ص١٢.

(٤٩)موسوعة الأمثال العمانية، ص٥.

(٥٠)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية، ص٦٤.

(٥١)المصدر نفسه، ص١٩.

(٥٢)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية، ص٩.

(٥٣)المصدر نفسه، ص١٨.

(٥٤)المصدر نفسه، ص٩٤.

(٥٥)موسوعة الأمثال العمانية: ص١٣.

(٥٦)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية، ص٢٥.

(٥٧)المصدر نفسه، ص١٧.

(٥٨)المصدر نفسه، ص٧٨.

(٥٩)تقدم ذكرها سابقا.

(٦٠)المصدر نفسه، ص٣٧.

(٦١)المصدر نفسه، ص٢٠.

(٦٢)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية، ص٣٠..

(٦٣)المصدر نفسه، ص٢٨.

(٦٤)المصدر نفسه، ص٨٩.

(٦٥)المصدر نفسه، ص٦٣.

(٦٦)المصدر نفسه، ص٧٣.

(٦٧)المصدر نفسه، ص٢٨.

(٦٨)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية، ص٩٣.

(٦٩)مجمع الأمثال، ج١، ص٤٣٦، القيم التربية في الأمثال العربية، ص٤٤٤٦.

(٧٠)مجمع الأمثال، ج٢، ص٢٨، القيم التربية في الأمثال العربية، ص٤٤٤٦.

(٧١)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية، ص٧٩

(٧٢)المصدر نفسه، ص٦٥.

(٧٣)المصدر نفسه، ص٥٧.

(٧٤)أقوال عمان لكل الأزمان، ج٢، ص١٦٨.

(٧٥)العمانيون حكمهم وأمثالهم الشعبية: ص٢٩.